شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والأداب

ولا تمدن عينيك (خطبة)



الشيخ عبدالله محمد الطوالة

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 10/8/2024 ميلادي - 5/2/1446 هجري

الزيارات: 8040



ولاتمدن عينيك

الحمدُ الله... الحمدُ اللهِ أبدًا سرمَدًا، وتباركَ اللهُ فردًا وثرًا صمدًا، وتعالى الله لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، سبحانهُ وبحمدهِ، ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: 93].

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، ولا ربَّ سواهُ.. كُنْ مَعَ اللهِ، تَرَى اللهَ مَعَكْ.. وَاثْرِكِ الْكَلَّ، وحاذِرْ طَمَعَكْ.. كُنْ به مُغتَصِمَّا، أَسْلِمْ لَـهُ.. واصنع المغروف مغ مَنْ صَنَعَكْ.. فَإِذَا أَعْطَاكَ، فَمَنْ يَمِنعُـــهُ؟ ثُمَّ مَنْ يُعطِيكَ إِذَا مَا مَنَعــكُ؟

وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ، ومصطفاهُ وخليلهُ، الصادِقُ الأمينُ، والناصِحُ المبينُ، سيِّدُ الأولين والآخِرين، وخيرُ خلْقِ اللهِ أجمعين، اللهمِّ صلِّ وسلّم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابتهِ الغرّ الميامين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا.

أمًا بعدُ: فيا عبادَ اللهِ؛ اتقوا اللهَ وأخلِصوا نياتِكم للهِ تعالى تُغلِحُوا، والتزموا سنَّة نبيكم صلى الله عليه وسلم تهتدوا، واجتهدوا في الأعمال الصالحة تربحوا، وابتعدوا عن الآثام والمعاصي تسلموا. واعلموا أن من بادرَ الأعمال استدركها، ومن جاهَد نفسه مَلكها، ومن طلب التقوى بصدق أدركها. واعلموا أنَّ من علامات التوفيق والتسديد، صُحبَةُ الأخيار والصالحين، وبذلُ المعروف ومساعدةُ المحتاجين، وخطَّ الوقتِ فهو جِدُّ ثمين، وأن لا يفقِدكَ الله حيثُ أمرَك، ولا يراكَ حيثُ نهاك. وإنَّ لحظةً تمضي ولا تعودُ، لجديرةٌ بحُسنِ استغلاليها. ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيْنَيِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون ﴾ [المائدة: 84].

معشر المؤمنين الكرام: ربنا اللطيف الخبير، العظيم القدير خلق الخلق فهو أعلمُ بهم وبما فيه صلاحُ معاشِهم ومعادهم، قال تعالى: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفَ الْخَبِيرِ ﴾ [الملك:14]، وبعدله وحكمتهِ سبحانه يُقتِرُ أرزاقهم، فيبسط الرزق لمن يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء، قال تعالى: ﴿ وَلُوْ بَسَطَ اللَّهُ الرَزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغُوا فِي الْأَرْضِ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرَزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقُدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 30]، وقال تعالى: ﴿ وَلُوْ بَسَطَ اللَّهُ الرَزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: 27].

إِلّا أنّ ضعف الإيمانِ وقلةً الفقهِ والتوفيق يودِي ببعض الناسِ إلى عواقبَ سينةٍ وخيمة؛ فتجعلهُ ينظرُ بعين الإعجابِ إلى من فُضِلَ عليهِ في بعض جوانب الرزق، فيرى سيارةً خيرًا من سيارته، أو بيتًا أفضلَ من بيته، أو خِلقةً وهيئةً أحسنَ من خلقته وهيئته، أو صحةً وعافية أنشطُ من صحته وعافيته، أو وظيفةً وعملًا أعلى من عمله ووظيفته، أو زوجةً أجملَ من زوجته، أو أبناءً أذكى من أبنائه... إلخ أصنافِ الرزقِ والعطايا.. ولا تعنن عينيك (خطبة) 21/09/2024 12:06

فلنتأمل ما يقوله الله جلّ وعلا لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَ هُرَةَ الْخَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْيَتَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه:131]، وفي صحيح الإمام مسلم، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "انْظُرُوا إلى مَن أسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن أَسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا لِي مَن أَسْفَلَ مَنه فَضِلَ عليه وسلم: "إذا نَظْرَ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ". وفي صحيح مسلم أيضنا، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا نَظْرَ أَخْدُكُمْ إلى مَن فُضِلَ عليه في المال والخَلْق، فَلْيَنْظُرْ إلى مَن هو أسْفَلَ منه".

ولا شك يا عباد الله أنّ كثرة النظر إلى من فُضِتلَ علينا في الرزق والعطاء، لها نتائجُ سينة، وعواقب وخيمة. من ذلك:

العمى عن رؤية نِعَمِ اللهِ تعالى، وازدراؤها واحتقارها، وعدم شكرها، مع عظيم قدرها، واستحالةٍ عدِّها، وربما أوهمة الشيطانُ بأنه محرومٌ أو مظلوم.. أو أنهُ أحقُّ من غيره.. فيعرّضُ نفسهُ بذلك لغضب الله وعذابه، فقد قال جلّ وعلا: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَيْنَ شَكَرُتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7].. وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قُرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةٌ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزُقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتُ بِأَنْعُم اللهِ فَأَذَاقُهَا الله لِبَاسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُولْ يَصَنْعُون ﴾ [النحل:112]..

ومن تلك النتانج الخطيرة أيضًا: الوقوعُ في الحسد المحرّم، وهو تمني زوال النعمةِ عن الغير.. قال الإمام أبو الليث السمرقندي: "ليس شيءٌ من الشرّ أضرُّ من الحسد؛ فالحاسدُ يُصابُ بخمس عقوباتٍ، قبل أن يصل ضرره إلى المحسود: أولها: غَمَّ لا ينقطع، والثانية: مصيبةً لا يؤجرُ عليها، والثالثة: مذمّةٌ لا يُحمدُ بها، والرابعة: سخطُ الرب جل وعلا، والخامسة: يُغلقُ عليه بابُ التوفيق، وقال بعض الحكماء: "ما رأيتُ ظالمًا أشبه بالمظلوم من الحاسد"..

ومن النتائج الخطيرة أيضًا: الشكُ في عدل الله وحكمته، والتَسخطُ وعدمُ الرضا بما قسم الله، والاعتراضُ على قضائه وقدره، فمن شكُ في عدل الله وحكمته، سخط ولم يرض بقضائه وقسمته، قال ابن القيم رحمه الله: "فقلَّ أن يسلمُ السّاخِطُ من شكَّ يُداخِل قلبهُ ويتغلغلُ فيه، وإن كان لا يشعرُ به، فلو فتش نفسهُ تمام التفتيشِ لوجد يقينهُ معلولًا مدخولًا، فإنّ الرضا واليقين أخوانِ مصطحبان، وإنّ الشكّ والسُخط قرينان متلاز مان".. وقال أيضًا رحمه الله: (إنَّ الرّضا يفتحُ للمسلم باب السّلامة، فيجعلُ قلبه سليمًا نقيًا من الغشّ والدُغلِ والغلِّ، ولا ينجو من عذاب الله إلّا من أتى الله بقلب سليم، وإنه ليستحيلُ سلّامةُ القلب مع المتخط وعدم الرّضا، وكُلمًا كان العبدُ أشدَّ رضى، كان قلبهُ أسلم).. فالشكّ في عدل الله وحكمته، والسنخط وعدم الرضا بقضائه وقسمته، لا ينفغ معهُ إيمان ولا عمل، لأنه كفرّ أكبر عياذُ بالله، وهل أهلكَ إبليسَ إلا هذا: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَاللَّهُ اللهِ عليه وسلم: " لكُلّ خَلْقَتُهُ مِن طِين * قَالَ قَاخُرُ * مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيم * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَبِي إلَى يَوْمِ الذِين ﴾ [ص:76]، وقال صلى الله عليه وسلم: " لكُلّ شيء حقيقةً وما بلغ عبد حقيقةً وما بلغ عبد حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتَّى يَعلمَ أنَّ ما أصابَهُ لَم يكُن ليُخطِنَهُ وما أخطاهُ لَم يكُن ليُصبِهُ". والحديث صححه الألباني..

ومن النتائج أيضًا: الشعورُ بالألم النفسي، وفقدانُ الطمأنينةِ والسكينة، وأن يُفوّتَ العبد على نفسه الاستمتاعُ والانتفاعَ بالنّعم الموجودة، ويجلِبُ لنفسه البؤسَ والنكد. وهذا كلهُ نتيجةً للسُّخط وعدم الرضا بما قسمَ اللهُ وقدّر، فالسّاخِطُ الشّاكي لا يذوقُ للسرور طعمًا.. ولا تراهُ إلا دائم الحزن، دائمَ الكآبة، ضيقَ الصدر، كأنّ الدنيا على سعتها في عينه خرم إبرة.

فمن أرادَ أن يقي نفسهُ الوقوعَ في هذه المفاسد، فعليه أن يتجنّبَ النظرَ بعين الإعجابِ والتّمني إلى ما في أيدي الناس من المال والزينة، مع النظر بعين التقدير والتعظيم إلى النعم الموجودةِ عنده، وعندها يستشعرُ العبدُ الغبطةَ والسرور، ويحظى بأهنا عيشٍ وأسعدِ حال، كما جاء في الحديث الحسن، قال صلى الله عليه وسلم: "من أصبحَ منكم آمنًا في سربِه، مُعافّى في جسدِهِ عندهُ قوتُ يومِه، فَكأنّما حيزت لَهُ الدُنيا"..

كما أنَّ عليه أن ينظرَ إلى من هو دونهُ في الحال والمال، ومن هو أشدُّ منه في البلاء والضُّر.. فإذا نظرَ إلى من هو أقلُّ منه تنعُمًا وتمتُّعًا، ومن هو أعظمُ منه بلاءً وتضررًا، فسيعرف قدرَ نعمةِ اللهِ عليه، وسيكونُ بذلك أرضى برزقه، وأهنا لنفسه، وأصلح لحاله..

فصفّوا يا عباد الله صدوركم، وطهروا قلوبكم، أجبُّوا لغيركم ما تُحبُّونَهُ لأنفسِكم، واكر هوا لغيركم ما تكر هُونَهُ لأنفسِكم، وقولوا لغيركم ما تُحبُّونَ أن يقولوهُ لكم، وامنعوا عنهم ما تُحبُّونَ أن يمنغونَهُ عنكم، ففي الحديث الصحيح: لا يُؤمِنُ أحدكم حتى يُحبُّ لأخيهِ ما يُجبُهُ لنفسهِ.. وفي الحديث المتفق عليه، قال صلى الله عليه وسلم: "إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخُوانَا"..

المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَخْفِرُهُ. التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. بحَسْبِ امْرِيْ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْفِرُ أَخَاهُ المُسْلِمِ. كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ". ولا تمنن عينيك (خطبة) (21/09/2024 12:06

فاتقوا الله عباد الله، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرَ وَالتَّقُوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْمُدُوانِ ﴾ [الماندة:2]، ارحمِوا المسكينَ، واعينوا المحتاج، وتجاوزوا عن الأخطاء، واقبلوا الأعذارَ، وتذكّرُوا أنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى سرورٌ تدخلُونهُ على مسلمٍ.. اللهم اهدنا لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

أقول ما تسمعون...

الخطبة الثانية

الحمد الله وكفي، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى..

أما بعد فاتقوا الله عباد الله، وكونوا مع الصادقين، وكونوا من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتْبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰذِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰذِكَ هُمْ أُولُوا اللَّهِ عِباد الله، وكونوا مع الصادقين، وكونوا من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰذِكَ اللَّهِ مَا اللَّهُ وَأُولَٰذِكَ هُمْ أُولُوا اللَّهِ عِباد الله، وكونوا مع الصادقين، وكونوا من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلُ فَيَتَّبِعُونَ آخَسَنَهُ أُولَٰذِكَ اللَّهِ مَا اللَّهُ وَأُولَٰذِكَ هُمْ أُولُوا

معاشر المؤمنين الكرام: القلبُ: هو محلُ نظر الرّب، ففي صحيح مسلم: (إنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلَى صُوْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ). فبالقلب يَعرفُ العبدُ ربَّه، وبه يُحبهُ ويخافُه ويرجوه، وبالقلب يُفلِحُ العبدُ وينجو يومَ القيامة. ومن تدبرَ قولَ الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:88].. علم أنّ الشّأنُ ليس في الإكثار من أعمال الجوارح، وإنما الشّأنُ في التقوى وإصلاح القلب، ولذا يقول العلماء: أنَّ أعمالَ القلوبِ أهمُّ من أعمال الجوارح.. فأعمال القلوب أصل وأعمال الجوارح تبع.. وسلامة القلب وخلوه من الأفات منزلة عالية من منازل البر والإحسان، وصفة كريمة من أهمّ صفاتِ المؤمنينَ.. في الحديث الصحيح أن الرسولِ صلى الله عليه وسلم سئل: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ، قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُه، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: هو التقيُّ النقيُّ لا أَمْ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدً".. و(القلب المخموم هو النظيف: من خَمَمَتُ البيت، إذا كنسته ونظفته)..

ألا وإن مِن أعظم ما يُعين على سلامة القلب ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (ثَلاثٌ لا يُغِلُ عليهن قُلْبُ مُؤمِنٍ: إخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ تَعالَى، ومُناصَحَةً وُلاةِ الأمُر، ولُزومُ جَماعةِ المُسلِمينَ). والنصيحة من الأعمالِ الدالَة على صفاء السريرة، وسلامةِ الصدر، وطهارةِ القلب، ولا يكمُل إيمانُ المسلم حتى يُحبَّ لأخيه المسلمَ ما يحبُّ لنفسه، ويكرة لأخيه ما يكرهة لنفسه.

كما أن مما يعينُ على سلامة القلب كثرةُ الدعاء، فقد كان من دعاءه صلى الله عليه وسلم: "وأسالك قلبًا سليمًا"، وفي التنزيل الحكيم علَّمنا الله دعاءً عظيما: ﴿ رَبِّنَا اغْفِرُ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبُنَا الِّذِينَ وَعَنِي الْمَشْرِ:10].

وإنَّ من أعظم أسباب صلاح القلوب وسلامتِها: إعمارُ ها بمحبةِ الله تعالى، فلا فلاحَ ولا صلاحَ ولا استقامةً ولا سعادة إلا بمحبَّةِ اللهِ تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كُنَّ فيه وجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ اليه مما سواهما»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالمحبةُ أعظمُ واجبات الدين وأكثرُ أصولِه وأجلُّ قواعدِه، بل هي أصلُ كلِّ عملٍ من أعمالِ الإيمانِ والدِّينِ".

ومن أهم أسباب سلامة الصدر وطهارة القلب: صحبة كتاب الله، فالله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَيِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:57]، فكُلمَا أقبل العبد الله على كتاب ربه كُلما طهرُ قلبُه، وسلِمَ صدرُه. قال عثمان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم لما شبعتم من كلام ربكم...

ولا تزال طهارةُ القلبِ بالعبد، حتى تكونَ سببًا في قبول أعمالهِ الصالحة؛ وأهلُ الشحناء والبغضاءِ لا يُقبل منهم حتى يتصالحوا؛ في صحيح مسلم: "تُغرَضُ الأعُمالُ في كُلِّ يَومِ خَمِيسِ واتَّنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وجلَّ في ذلكَ اليَومِ، لِكُلِّ امْرِيُ لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا امْرَءَا كانَتُ بيْنَهُ وبيْنَ أَجِيهِ شَخْناءُ، فَيْقَالُ: ارْكُوا هَذَيْن حَتَّى يَصْعُطِحا".

ولا تمنن عينيك (خطبة)

ألا فاتقوا الله وتعاهدوا قلوبكم واحرصوا على سلامتها، فلا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَزْلِفْتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنْ اللهِ مِن الشَّيبِ * انْخُلُو هَا بِسَلام ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنًا مَزِيدٌ ﴾ [ق:13]..

ويا ابن آدم عش ما شنت فإنك ميت، احبب من شنت فإنك مفارقه، اعمل ما شنت فإنك مجزي به، البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان.

اللهم صل على محمد...

حقوق النشر محفوظة © 1446هـ / 2024م لموقع الألوكة آخر تحديث للشبكة بتاريخ: 18/3/1446هـ - الساعة: 30:13